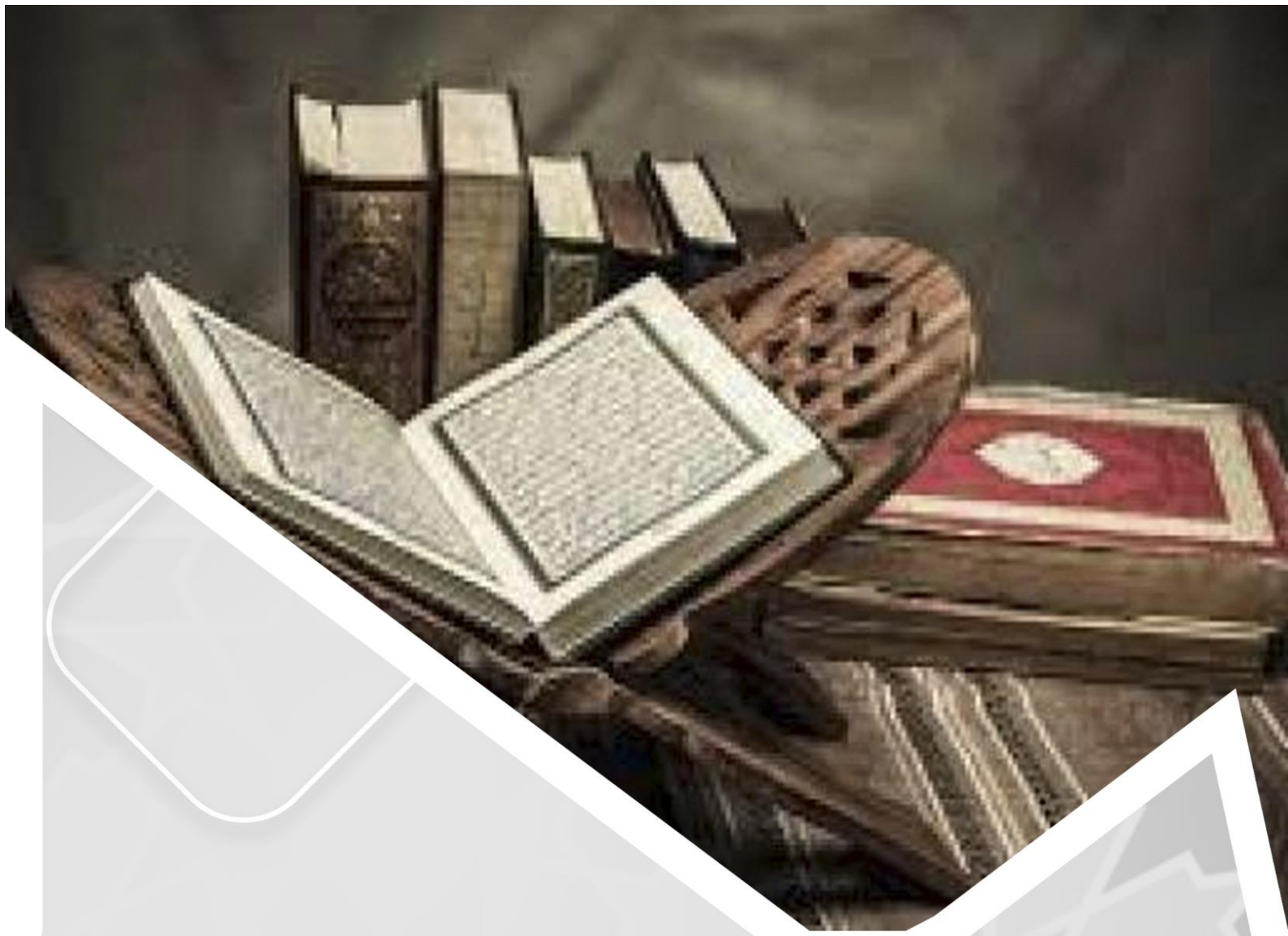

فضل التقوى وصفات المتقين

الشيخ ندا أبو أحمد

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

الكتاب الجامع للفضائل

(٣٩)

فضل التقوى وصفات المتقين

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل التقوى وصفات المتقين

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلأهادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب:٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

تمهيد:

- التقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد.

- وكما أن التقوى أجمل لباس يتزين به العبد فإنها أفضل زاد يتزود به العبد ليوم القيامة.

- الله ﷻ جعل التقوى هي الميزان الذي يُوزن به الناس، وبه يتفاضلون.

- ولمكانة وشرف التقوى أمر الله ﷻ المسلمين بالتعاون عليها.

- ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله ﷻ يوصي بها الأولين والآخرين.

- والتقوى هي وصية الرسل الكرام لمن أرسلوا إليهم.

- ووصي النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته وأصحابه بالتقوى.

- والتقوى وصية السلف الصالح -رضي الله عنهم-.

صفات المتقين

١- فمن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيمانًا جازمًا.

٢- ومن صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون.

٣- ومن صفاتهم أنهم غير معصومين من الخطايا غير أنهم لا يقارفون الكبائر ولا يصرون على الصغائر.

٤- ومن صفاتهم أنهم يتحرون الصدق، فهم أصدق الناس إيمانًا، وأصدقهم أقوالًا وأعمالًا، وهم الذين صدقوا المرسلين.

٥- ومن صفاتهم أنهم يتبعون سبيل الصادقين: الأنبياء، والمرسلين، وصحابة سيد الأولين والآخرين- صلى الله عليه وسلم.

٦- ومن صفاتهم أنهم يتحرون العدل ويحكمون به، ولا يحملهم بغض أحد على تركه.

٧- ومن صفاتهم أنهم يعظمون شعائر الله.

٨- ومن صفاتهم أنهم يتقون الشبهات- أي يدعون ما لا بأس به حذرًا مما به بأس-.

فضل التقوى

١- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب.

٢- التقوى سبب للسهولة واليسر في كل أمر.

٣- التقوى سبب لمحبة الله -عز وجل-، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض.

٤- التقوى سبب لإطلاق نور البصيرة، فيفرق بين الحق والباطل، والخير والشر.

٥- التقوى سبب لتيسير العلم النافع.

٦- والتقوى تدخل صاحبها ولاية الله.

٧- التقوى سبب للبشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم.

٨- التقوى سبب للحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي باب النصر والمدد من الله.

٩- التقوى سبب للمعية الخاصة، وهي سبب في نصرة الله ﷻ وتأييده وتسديده.

١٠- التقوى سبب النجاة من عذاب الدنيا.

١١- التقوى سبب لنزول البركات من السماء والأرض، ورفع البلايا والأزمات.

١٢- التقوى سبب لحفظ الذرية الضعاف بعناية الله ﷻ.

١٣- التقوى سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة.

١٤- الذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

١٥- التقوى سبيل لنيل الشرف وهيبة الخلق وحلاوة المعرفة والإيمان.

١٦- التقوى سبب لتكفير السيئات، وتعظيم الأجر.

١٧- أهل التقوى لهم عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة.

١٨- أهل التقوى تجمعهم التقوى تحت مظلة المحبة والخلة حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشاقة.

١٩- والتقوى سبب النجاة من شدائد الدنيا والآخرة.

٢٠- والتقوى سبب للمغفرة والرحمة.

٢١- التقوى سبيل لدخول الجنة.

٢٢- أهل التقوى لهم ميراث الجنة فهم أحق الناس بها.

٢٣- وأهل التقوى لا يذهبون إلى الجنة سيرًا على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانا.

٢٤- أهل التقوى يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمرًا زمرًا.

٢٥- وأهل التقوى يفوزن بأعلى الدرجات في الجنة.

كيف يتقى الإنسانُ ربه؟

أولًا: محبة الله ﷻ.

ثانيًا: ومما يعين على تقوى الله ﷻ أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله ﷻ عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد فى الطاعة.

ثالثًا: ومما يعين على التقوى معرفة ما فى سبيل الحرام من المفاسد والآلام.

رابعًا- ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

خامسًا: ومما يعين على تقوى الله- عز وجل- معرفة مكائد الشيطان ومصائده، والحذر من وساوسه ودسائسه.

فضل التقوى(١)

يقول الغزالي-رحمه الله-عن التقوى: هي كنز عزيز، فلئن ظفرت به كم تجد فيه من جوهر شريف، وخير كثير، ورزق كريم، وفوز كبير، وغنم جسيم، وملك عظيم، فكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي تقوى الله، وتأمل ما في القرآن من ذكرها فكم علّق بها من خير، وكم وعد عليها من خير وثواب، وكم أضاف إليها من سعادة. اهـ. (منهاج العابدين: ص٧)

فأهل التقوى هم ملوك الدنيا، كما أنهم ملوك الآخرة، وهم أهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه:١٣٢) وقال تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٣٥)

وقبل الحديث عن فضل التقوى نتكلم عن تعريف التقوى وصفات المتقين:

التقوى لغة: الخوف والحذر.

التقوى اصطلاحًا: هي الاحترازُ بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النَّفْس عما تستحقُّ به العقوبة من فعل أو ترك.

وقيل: هي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه حسب الطاقة.

وقيل: هي المحافظة على آداب الشريعة ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله — تعالى-.

وقيل: هي ترك حظوظ النفس ومباينة الهوى.

وقال الحَلِيمِيُّ-رحمه الله-: حقيقة التقوى فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهي عنه والمكروه المنزه عنه، لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار، وهو إنما يقي نفسه من النار بما ذكرت.

(انظر التعريفات للجرجاني (٦٥)، والمفردات للأصفهاني ص٥٣٠)

١- استفدت كثيرًا من كتاب" التقوى الغاية المنشودة والدرة المفقودة للشيخ أحمد فريد-حفظه الله-.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد اختلفت تعبيرات العلماء في تعريف التقوى وكل هذه التعبيرات تدور حول مفهوم واحد وهو: أن يأخذ العبد وقايته من سخط الله ﷻ وعذابه، وذلك بامتثال المأمور، واجتناب المحذور.

وكان عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– يقول:" التقي ملجم لا يفعل كل ما يريد ".

(شرح السنة للبغوي: ١٤/٣٤١)

وقد سأل عمر بن الخطاب ﷺ ذات يوم أُبَي بن كعب ﷺ عن التقوى، فقال أُبَي ﷺ:" أما سلكتَ طريقًا ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملتَ؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: ذلك التقوى (١)".

(تفسير القرطبي: ١/١٨٠)

وأخذ هذا المعني ابن المعتز فقال:

خـل الـذنـوب صغيرها وكبـيرهـا ذاك التـقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشـوك يحـذر ما يرى

لا تـحقـرن صغـيرة إن الجبال من الحصى (جامع العلوم والحكم ص ١٤٥)

– وقال ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى:﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾قال:" أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر ". (رواه الحاكم في التفسير دون قوله وأن يشكر فلا يكفر)

– وقال أبو الدرداء ﷺ:" تمام التقوى أن يتقى العبد الله حتى يتقيه من ثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يري أنه حلال٢ خشية أن يكون حرامًا ". (الدر المنثور: ١/٦١) (الزهد لابن المبارك:١/١٩)

فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

فلا تحقرن شيئًا من الخير أن تفعله، ولا شيئًا من الشر أن تتقيه. (الزلزلة: ٧،٨)

– ومما ينسب للإمام عليٍّ ﷺ في تعريف التقوى:

" هي الخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل ".

– وقال الإمام أحمد –رحمه الله–:" التقوى هي:" ترك ما تهوى لما تخشى ".

– وقال أيضا في تعريف التقوى:" ألّا يراك اللهُ حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك ".(حلية الأولياء:٧/٣٥٨)

– وقيل إن التقوى:" هي علم القلب بقرب الرب ".

١– وذكر السيوطي في الدر المنثور: ١/٦١ "هذا الأثر لكنه عن أبي هريرة ﷺ حيث سُئل عن التقوى، فقال: "هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: "ذاك التقوى".

٢– ليس المقصود أن يترك الحلال بالكلية، لكن الحذر يقتضي أحيانا ترك شيئًا من المباح خشية الوقوع في الحرام وهو ما يعرف بالورع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويقول ابن القيم–رحمه الله–:"وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر اللهُ به إيمانًا بالأمر وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهى وخوفًا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب –رحمه الله–: إذا وقفت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: ما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله".

(الزهد لابن المبارك:١/٤٧١) (رواه ابن ابي شيبة في مصنفه:٦/١٦٤)

وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى، فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدأه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب، ولهذا كثير ما يقرن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي ﷺ:" من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ". (رواه البخاري) وقوله: " من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ". (رواه البخاري) ونظائر ذلك كثير. اهـ.

– قال عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–:

" ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله بترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرٌ، فهو خيرٌ إلي خير". (التقوى لصلاح الدين مارديني ص١٦)

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله– كما في" جامع العلوم والحكم: ٢/٤٦٨":

"أصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى الله ﷻ تعني أن يجعل المسلم بينه وبين غضب الله وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه". اهـ

التقوى هي أجمل لباس يتزين به العبد:

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف:٢٦)

واللباس: ما يستر به العورات، والريش والرياش: ما يتجمل به، فالأوّل من الضروريات، والثاني من الزيادات التكميليات.

فبعد أن مَنَّ الله ﷻ على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، دلهم على أفضل لباس وهو يواري عورات الظاهر والباطن ويتجمل به، ألا وهو لباس التقوى.

قال القرطبي–رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ بين أن التقوى خير لباس كما قيل:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عريـانًا وإن كان كاسيًا

وخير لبـاس المـرء طاعـة ربـه ولا خير فمن كان لله عاصيًا(١)

١– البيتان منسوبان لأبي العتاهية.

وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: لباس التقوى: هو العمل الصالح.

وعنه أيضًا قال: لباس التقوى: هو السمت الحسن في الوجه.

وقيل: لباس التقوى: هو الحياء. (نقل ذلك قاسم بن مالك عن عوف بن معبد الجهني)

زار عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- قبور آبائه، ثم رجع وهو يبكي فقال:" ناداني التراب فقال: ألا تسألني عما صنعت بأحبابك؟ فقلت: ما فعلت؟ قال: فصلت الكفين عن الساعدين، والقدمين من الساقين، وفعلت وفعلت.....، فلما وليت ناداني: ألا أدلك على كفنٍ لا يبلى؟ قلت: بلي. قال: التقوى ".

وأنشد أبو الدرداء ﷺ يومًا فقال:

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

(تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠)

وكما أن التقوى أجمل لباس يتزين به العبد فإنها أفضل زاد يتزود به العبد ليوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:١٩٧).

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾: لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ فلما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع، وقد كان عطاء الخرساني يقول في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ يعني خير زاد للآخرة هي التقوى". اهـ.

وقال الزمخشري -رحمه الله- كما في الكشاف: ١/ ٢٤٤:" أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح، فإن خير الزاد اتقاؤها ".

وسبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون [من الطعام في السفر]، ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا المدينة سألوا الناس فأنزل الله: فيهم هذه الآية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ

الزَّادِ التَّقْوَى﴾.ومعناها: وتزودوا، واتقوا الإستطعام وإبرام(١) الناس والتشغيل عليهم، واعلموا أن خير الزاد التقوى.﴿ وَاتَّقُونِ ﴾أي: خافوا عقابي، ﴿ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾: يعني أن قضية اللب هي تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له ". اهـ.

وصدق القائل حيث قال:

تـزود مـن التقوى فإنـك لا تـدري إذا جن ليلٌ هل تعيش إلـى الفجـر
فكـم مـن عـروس زينوها لزوجـها وقـد قبضت أرواحهم ليلـة العـرس
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقـد أدخلت أرواحـهم ظلمـة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكـم من سقيم عاش حيًنا من القدر
وكم من فتي أمسي وأصبح ضاحكا وقـد نسجت أكفانه وهـو لا يـدري
وكـم ساكـن عنـد الصباح بقصره وعند المساء قد كان من ساكن القبر
فـداوم على تـقوى الإلـه فإنهـا أمـان من الأهوال في موقف الحشر

- جاء في حلية الأولياء، وقصر الأمل لابن أبي الدنيا ص٥٠: عن عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- أنه قال: في بعض خطبه:" إن لكل سفر زادًا لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ".

- وذكر ابن عبد البر في كتابه "التمهيد" عن عليّ ﷺ أنه دخل المقبرة فقال:" يا أهل القبور ما الخبر عندكم؟ إن الخبر عندنا أن أموالكم قد قُسمت وأن بيوتكم قد سُكنت، وأن أزواجكم قد زوجّت، ثم بكى وقال: والله لو استطاعوا أن يجيبوا لقالوا: إنّا وجدنا أن خير الزاد التقوى ".

الله –عز وجل- جعل التقوى هي الميزان الذي يُوزن به الناس، وبه يتفاضلون:

فالناس يتفاضلون بالتقوى، لا بميزان الحسب والنسب والمال والشهرة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣) وهذا الميزان كذلك هو ميزان النبي ﷺ الذي يزن به الناس.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال:" قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال:

" أتقاهم لله ".

قال الشنقيطي -رحمه الله- في" أضواء البيان:٧/٦٣٥ ":" إن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره من الانتساب إلى القبائل ولقد صدق من قال:

فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الكفرُ الشريف أبا لهب

١- إبرام الناس: أي إملالهم وإضجارهم

وقد ذكروا أن سلمان ﷺ كان يقول:

أبي الإسلام لا أبَ لـي سـواه إذا افتـخروا بـقيسٍ أو تـميم

فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله ولا كرم ولا فضل لغير المتقي ولو كان رفيع النسب. اهـ.

وحين فتح اللهُ على النبيِّ ﷺ مكة اختار النبيُّ ﷺ بلالًا ليصعد على ظهر الكعبة ثم يؤذن، والصعود على ظهر الكعبة شرف لا يعدله شرف، ورسولنا ﷺ لم يشأ لهذا الشرف أن يناله قرشي ولا هاشمي، وإنما آثر بلالًا الحبشي الأسود ﷺ، لأن نصيبه من تقوى الله كان يتكافأ مع هذا الشرف الرفيع.

فعلى قدر التقوى في القلوب يكون قرب العبد أو بعده من علام الغيوب.

ولمكانة وشرف التقوى أمر الله -عز وجل- المسلمين بالتعاون عليها:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة:٢)

نقل القرطبي- رحمه الله- عن الماوردي أنه قال:

" ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لله، لأن في التقوى رضا الله ﷻ، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله- تعالى- ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته ".

(الجامع لأحكام القرآن: ٣/٢٠٤٤)

وقال ابن القيم -رحمه الله- في الرسالة التبوكية ص١٢:

" وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضًا، وفيما بينهم وبين ربهم، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله، وواجب بينه وبين الخلق، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم متعاونًا على مرضاة الله وطاعته، التي هي غاية العبد وفلاحه، ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى، اللذان هما جماع الدين كله ". اهـ.

ولشرف التقوى وأهميتها نجد أن الله يوصي بها الأولين والآخرين:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (النساء:١٣١)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:٥/٤٠٨":" الأمر بالتقوى كان عامًا لجميع الأمم ".

وقال الغزالي-رحمه الله-:" أليس الله- تعالى- أعلم بصلاح العبد من كل أحد، أوليس هو أنصح له وأرحم وأرأف من كل أحد، ولو كانت في العالم خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير، وأعظم للأجر، وأجل في العبودية، وأعظم في القدر، وأولى بالحال، وأنجح في المآل، من هذه الخصلة التي هي التقوى، لكان الله أمر بها عباده، فلما أوصى الله بهذه الخصلة الوحيدة، وجمع الأولين والآخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها، علمت أنها الغاية التي لا متجاوز عنها، ولا مقصود

دونها، وعلمت كذلك أنها الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، والكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات ". أهـ باختصار (منهاج العابدين ص ٧٢)

وقال بعض أهل العلم:" هذه الآية هي رحى آي القرآن كله، لأن جميعه يدور عليها، فما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله سبيل موصل إليه، ووسيلةٌ مبلِّغة له، وما من شر عاجل ولا ظاهر ولا آجل ولا باطن إلا وتقوى الله ﷻ حرز متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- كما في" مجموع الفتاوى:١٠/٦٥٤": حديث" اتقِ الله حيثما كنت":" ما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله ﷺ لمن عقلها واتبعها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ ووصى النبيُّ ﷺ معاذًا رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن فقال:

" يا معاذ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ". اهـ.

(رواه الإمام أحمد والترمذي)

وقال تعالى أيضًا يوصي عباده المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران:١٠٢)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر:١٨)

والتقوى هي وصية الرسل الكرام لمن أرسلوا إليهم:

وكيف لم يأمروا قومهم ويوصوا بهذه الوصية وقد أمرهم الله بها لما فيها فلاح الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون: ٥١،٥٢)

فدعا نوح عليه السلام قومه إلى التقوى، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الشعراء: ١٠٥،١٠٦)

ودعا إليها إبراهيم عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ (العنكبوت:١٦)

ودعا إليها لوط عليه السلام فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الشعراء:١٦٠-١٦١)

ودعا إليها هود عليه السلام فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الشعراء: ١٠٣،١٢٤)

ودعا إليها صالح عليه السلام فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الشعراء: ١٤١،١٤٢)

ودعا إليها شعيب عليه السلام أهل مدين فقال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الشعراء:١٧٦-١٧٨)

وهي دعوة موسى وأخيه هارون-عليهما السلام- حيث قال لهما رب العالمين: ﴿ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء:١٠،١١)

وهي دعوة إلياس عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾

(الصافات:١٢٣،١٢٤)

وغيرهم من الأنبياء دعوا إلى التقوى وخصال الخير، ولا شك أن الرسل هم أزكى البشر، وأنصح الناس للناس، فلو علموا أن هناك خصلة للناس أنفع لهم من التقوى لما عدلوا عنها، فلما أجمعوا عليها؛ ظهر شرفها ومكانتها.

ووصي النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته وأصحابه بالتقوى:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال:" وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يَرَ اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنَّوَاجِذِ ".

(صحيح الجامع: ٢٥٤٩) (صحيح الترمذي: ٢١٥٧)

قال ابن رجب –رحمه الله– في كتابه "جامع العلوم والحكم ص٢٤٧" عند قول النبي ﷺ" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة " فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها، وهي وصية الله للأولين، والآخرين، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم".

– وأخرج الإمام مسلم من حديث بريدة ﷺ قال:" كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ".

– وأخرج الإمام مسلم من حديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

" إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".

وأخرج الإمام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، فإن روحك في السماء، وذِكْرُكَ في الأرض ". (صحيح الجامع: ٢٥٤٣) (الصحيحة: ٥٥٥)

– وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال:" جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني، قال: زودك الله التقوى، قال: زدني، قال: وغفر ذنبك، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال: ويسر لك الخير حيثما كنت ". (صحيح الترمذي: ٢٧٣٩)

– وأخرج الإمام أحمد أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني؟ قال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء ". وفي رواية:" عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير".

– وأخرج البزار من حديث أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، فإنها زينٌ لأمرك كله، قلت: يا رسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن وذكر الله –عز وجل– فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض،

قلت: يا رسول الله، زدني قال: وإياك وكثرة الضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، قلت: زدني، قال: قل الحق وإن كان مرًّا، قلت: زدني: قال: لا تخف في الله لومة لائم ". (الصحيحة: ٣٢٩٥)

وأخرج الإمام أحمد أيضًا من حديث أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحدًا شيئًا، ولا تقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين ". (صحيح الجامع: ٢٥٤٤)

- وأخرج الإمام أحمد الترمذي والحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة ﷺ:" أن رجلًا قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني، فقال: عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شرف(١)، فلما أن ولَّى الرجل، قال:" اللهم اطْوِ له البُعْدَ، وَهَوِّنْ عليه السَّفر ". (صحيح الجامع: ٢٥٤٥)

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس ﷺ قال:" بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال:" ما يبكيك " فقالت: قالت لي حفصة" إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ:" إنك لابنة نبيٍّ، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبيٍّ، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال:" اتقي الله يا حفصة ".

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير-رضي الله عنهما- قال:" تصدق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عُمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي، فقال له رسول الله ﷺ:" أفعلت هذا بولدك كلهم؟" قال: لا. قال:" اتقوا الله واعدلوا في أولادكم "، فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

- وأخرج البخاري عن أنس ﷺ قال:

" جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك ".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- في حديثه الطويل في حجة النبي ﷺ وفيه: "....فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.....". الحديث

- وأخرج أبو داود عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال:" كان آخر كلام رسول الله ﷺ:" الصلاة الصلاة ". اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ".

- وأخرج أبو داود عن سهل بن الحنظلية ﷺ قال:" مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة(٢)، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة ".

- وأخرج الترمذي من حديث أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل- رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال:" أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ". (صحيح الترمذي

---

١ - الشرف: المكان المرتفع

٢ - المعجمة: أي: التي لا تنطق

للألباني: ١٦١٨)

- وقوله ﷺ:" اتق الله حيثما كنت " أي: في السر والعلانية، حيث يراك الناس وحيث لا يرونك.

والناظر في هذا الحديث يعلم قيمة التقوى وأنها من الأهمية بمكان، فقد كان معاذ بن جبل(١) ﷺ من الذين يخصهم النبي ﷺ بمزيد من الحب حتى أنه صرح بهذا فقال له كما في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي:" يا معاذ والله إني لأحبك ". (صحيح الجامع: ٧٩٦٩)، فلما قال له:" اتق الله حيثما كنت " علم ما لهذه الوصية من أهمية، وما للتقوى من مكانة.

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه:" من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة ﷺ: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي وعد خمسًا فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ". (صحيح الجامع: ١٠٠)

- وأخرج الترمذي عن أبي أمامة صُدى بن عجلان الباهليﷺ قال:

" سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم ". (صحيح الجامع: ١٠٩)

وكان أكثر دعاء النبي ﷺ:" اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها". (رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم ﷺ)

وكان ﷺ يدعو أيضًا ويقول:" اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى ".

(رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ)

وكان النبي ﷺ يقول في دعاء السفر:" اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى ". (رواه مسلم)

١- كان معاذ بن جبل ﷺ من كبار الصحابة، وأعلم الأمة بالحلال والحرام، ويسبق العلماء يوم القيامة برتوة، وأرسله النبي ﷺ داعيًا ومفتيًا وحاكمًا إلى أهل اليمن، ومع ذلك قال له النبي ﷺ :"أتق الله " ومن هنا نعلم أن المرء أحوج ما يكون للتقوى ولو كان أعلم الناس، وأتقى الأتقياء.

والتقوى وصية السلف الصالح -رضي الله عنهم-:

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في كتابه" جامع العلوم والحكم ص١٥٠":

" ولم يزل السلف الصالحون يتواصون بالتقوى ".

فها هو أبو بكرﷺ يقول في خطبته:" أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله ﷻ أثني على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠)

(رواه الحاكم في المستدرك)

ولما حضرته الوفاةُ، وعهد إلى عمرﷺ، دعاه، فأوصاه بوصية، وأول ما قال له: " اتق الله يا عمر ".

(حلية الأولياء:١/٣٦)

وكتب عمرﷺ إلى ابنه عبد الله، فقال له:" أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك ".

(جامع العلوم والحكم:١/١٦١)

واستعمل عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ رجلًا على سرية فقال له:

" أوصيك بتقوى الله ﷻ الذي لابد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة ".

(رواه الخلال في كتاب السنة:١/١١٤)

وكتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- إلى رجل فقال له:

" أوصيك بتقوى الله ﷻ التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين ".(حلية الأولياء:٥/٢٦٧)

ولما تولي الإمارة خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال:" أوصيكم بتقوى الله ﷻ فإن تقوى الله خلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف ". اهـ

(المصدر السابق:٥/٢٩٧) (جامع العلوم والحكم:١/١٦١)

وقال ابن القيم-رحمه الله-: ودع ابن عون رجلًا فقال:" عليك بتقوى الله فإن المتقي ليست عليه وحشة".

وقال رجل ليونس بن عبيد:" أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله والإحسان، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ". (جامع العلوم والحكم:١/١٦١)

وقال له رجل يريد الحج:" أوصني، فقال له: اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه ".

وقيل لرجل من التابعين عند موته:" أوصنا، فقال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)

وكتب رجل من السلف إلى أخ له فقال:" أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها ".

وكتب رجل من السلف أيضًا إلى أخ له فقال:" أوصيك وأنفسنا بالتقوى، فإنها خير زاد الآخرة والأولى، واجعلها إلى كل خير سبيك، ومن كل شر مهربك، فقد تكفل الله ﷻ لأهلها بالنجاة مما يحذرون والرزق من حيث لا يحتسبون ". (جامع العلوم والحكم:١/١٦١)

وقال الثوري-رحمه الله- لابن أبي ذئب:" إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا ".

وقال شعبة بن الحجاج -رحمه الله-:" كنت إذا أردت الخروج، قلت للحَكم: ألك حاجة؟ فقال: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل ﷺ:" اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ".

وكتب ابن السّماك الواعظ إلي أخ له:" أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك، وأعلم أنك ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك والسلام ". (حلية الأولياء:٨/٢٠٦) (صفة الصفوة:٣/١٧٥)

صفات المتقين

فبعد أن ذكرنا معني التقوى وشرفها وأنها خير ما يتزين به العبد، وخير زاد إلى الآخرة، وكيف أن الله أمرنا بالتعاون عليها وأوصانا بها، وكيف كانت وصية الأنبياء والرسل إلى أقوامهم، وكذلك وصية النبي ﷺ لأمته وحضهم على تحصيلها.

فينبغي علينا بعد هذا أن نتعرف على أهل التقوى وأصحاب هذه الرتب العلية والدرجات السنية حتى لا تدعيها النفوس وهي عارية منها ويكون العلم بها مما يشحذ الهمم في طلبها وبذل نفائس الأنفاس في تحصيلها.

يقول ابن القيم- رحمه الله- كما في كتابه طريق الهجرتين:

" محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم، ولكن في معرفة حال القوم فوائد عديدة منها:

١- لا يزال الرجل ذامًا لنفسه محقرًا لها عندما يشهد منازل السابقين وهو في زمرة المنقطعين.

٢- أنه عساه أن تنهض همته يومًا إلى التشبث والتعلق بالقوم ولو من بعيد.

٣- أنه عساه أن يصدق في الرغبة واللجوء إلى الله أن يلحقه بالقوم فيصادف ساعة إجابة.

٤- أن العلم بكل حال خيرٌ من الجهل.

٥- إذا كان معرفة حال القوم هي همه ومطلوبه فلابد أن ينال منه بحسب استعداده ولو أنه يحدث نفسه بالنهوض إلى حالهم.

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله- في كتابه "المدهش" ص٤٢٨:

" إن صدقت في طلبهم فانهض وبادر، ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر، تعرض لمن أعطاهم، وسل فمولاك مولاهم، رب كنز وقع به فقير، ورب فضل اختص به صغير، علم الخضر ما خفي على موسى، وكشف لسليمان ما خفي على داود ". اهـ.

وإياك أن تظن أنه بمجرد معرفة حال وصفات هؤلاء الرجال أن صرت منهم، فما أظهر الفرق بين العالم بأسباب الصحة وهو سقيم، وبين الصحيح بالفعل.

فانتبه الآن لوصف القوم، وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب، وأمرهم الجليل، فإن وجدت في نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فأحمد الله، وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح.

١- فمن صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب إيمانًا جازمًا:

والغيب هو ما غاب عن حواسنا مما أخبرنا الله ﷻ بوجوده أو أخبرنا به رسوله ﷺ، كالإيمان بالله وملائكته، والإيمان باليوم الآخر، ولا شك أن هذه الصفة أخص صفاتهم، فإنها التي تدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانقياد الكامل لأمر الله ﷻ ونهيه، وهذه الصفة هي أول صفة وصفهم الله ﷻ بها في كتابه الكريم. قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة:٢-٤)

٢- ومن صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون:

قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (البقرة:٢٣٧)

وقال تعالى: ﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى:٤٠)

فالعفو من صفات المتقين، وقد وعدهم رب العالمين بالأجر العظيم، والمغفرة يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور:٢٢)

وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣،١٣٤)

وقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقد نقل العلامة محمد رشيد رضا-رحمه الله- في تفسيره المنار عن الراغب أنه قال: الغيظ أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، والفرق بينه وبين الغضب: أن الغضب يتبعه إرادة الانتقام، وليس ذلك للغيظ.

وقال الزمخشري-رحمه الله-: كظم الغيظ هو أن يمسك ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرًا، ويُروى عن عائشة -رضي الله عنها-أن خادمًا لها غاظها فقالت:" لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ والعفو عن الناس هو التجافي عن ذنب المذنب منهم وترك مؤاخذته مع القدرة عليها، وهي مرتبة أعلى من كظم الغيظ، إذ ربما يكظم المرء غيظه على حقد وضغينة، وهناك مرتبة أعلى منها وهو ما أفاده قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فالإحسان وصف من أوصاف المتقين، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات بل صاغه بهذه الصيغة تمييزًا له بكونه محبوبًا عند الله- تعالى-.

ويروى أن بعض السلف غاظه غلام له فجأة غيظًا شديدًا فهمَّ بالانتقام منه فقال الغلام ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فقال كظمت غيظي، قال الغلام: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ قال: عفوت عنك، قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهب فأنت حر لوجه الله، فهذه الواقعة تبين لك ترتيب المراتب الثلاثة. اهـ.

وأخرج البخاري من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:" قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ(١) الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ(٢) أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ (٣) وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا(٤) كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ(٥) عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَل قَالَ: هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ(٦)! فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ(٧)، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ(٨) أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ(٩) وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ(١٠) وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(١١)﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللَّهِ مَا جاوزَهَا عُمرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى(١٢) ".

٣- ومن صفاتهم أنهم غير معصومين من الخطايا غير أنهم لا يقارفون الكبائر ولا يصرون على الصغائر:

بل كلما وقعوا في صغيرة رجعوا إلى الله بالتوبة والاستغفار والعمل الصالح عملًا بقول النبي ﷺ:

" اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ". (رواه الترمذي)

ومما يدل على هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وكان من صفاتهم ما جاء في تتمه الآيات ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن

---

١ – النفر: ما دون العشرة من الرجال، وجمعه أنفار.

٢ – القراء: جمع قارئ، وهو القارئ للقرآن، المتفهم لمعانيه.

٣ – أصحاب مجلس عمر: أي الملازمين لمجلسه.

٤ – كهولًا: الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل من ثلاث وثلاثين إلي تمام الخمسين.

٥ – لك وجه: أي لك جاه ومنزلة

٦ – هي يا ابن الخطاب: بكسر الهاء: كلمة تهديد، وقيل: هي ضمير وثم محذوف: أي: هي داهية، وفي رواية: إيه، بالهمز بدل الهاء

٧ – الجزل: العطاء الكثير.

٨ – هَمَّ: أي أراد.

٩ – خذ العفو: ما عفا وتيسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها.

١٠ – وأمر بالعرف: أي المعروف في الشرع.

١١ – أعرض عن الجاهلين: أي لا تقابلهم بسفههم.

١٢ – وقافًا عند كتاب الله: كناية عن امتثاله لأوامر الله.

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣-١٣٦)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هم مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف:٢٠١)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ٢/٢٧٩ " عند هذه الآية:

" يخبر الله- تعالى- عن المتقين من عبادة الذين أطاعوه فيما أمر، وتركوا ما عنه زجر، أنهم إذا مسهم

أي: أصابهم- الذنب أو هموا بالذنب، تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا ورجعوا إليه من قريب ﴿فَإِذَا هم مُبْصِرُونَ﴾ أي: قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه ". اهـ باختصار وتصرف

ثم ذكر الله ﷻ ما يقابل هذه الصفة في المتقين بقوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾

(الأعراف:٢٠٢)

قال العلامة محمد رشيد رضا-رحمه الله- في تفسيره المنار: ٩/٥٥٠ ":

" شأن المؤمنين المتقين اذا مسهم طائف من الشيطان لحملهم على محاكاة الجاهلين والخوض معهم وعلى غير ذلك من المعاصي والفساد تذكروا فأبصروا فحذروا وسلموا، وإن زلوا تابوا وأنابوا، وأن إخوان الشياطين وهم الجاهلون غير المتقين تتمكن الشياطين من أهوائهم فيمدونهم في غيهم وفسادهم، لأنهم لا يذكرون الله — تعالى- إذا شعروا في أنفسهم بالنزوع إلى الشر والباطل والفساد في الأرض، ولا يستعيذون بالله منه وإما لأنهم لا يؤمنون فإن للإنسان شيطانًا من الجن يوسوس إليه ويغريه بالشر، ثم لا يقصرون ولا يكفون عن إغوائهم وإفسادهم لذلك يصرون على الشرور والفساد لفقد الوازع النفسي والواعظ الديني.اهـ

٤- ومن صفاتهم أنهم يتحرون الصدق، فهم أصدق الناس إيمانًا، وأصدقهم أقوالًا وأعمالًا، وهم الذين صدقوا المرسلين:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٣٣)

قيل: الذي جاء بالصدق هو محمد ﷺ، وقيل: الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه السلام.

وقال مجاهد-رحمه الله-: الذي جاء بالصدق هم أصحاب القرآن المؤمنون، يجيئون يوم القيامة فيقولون: " هذا ما اعطيتمونا فعملنا بما أمرتمونا ".

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧)

قال القاسمي-رحمه الله-: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فلم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال، وفيه إشعار بأن من لم يفعل أفعالهم لم يصدق في دعواه الإيمان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ عن الكفر وسائر الرذائل. اهـ باختصار.

وقد رغب النبي ﷺ في هذه الخصلة النبيلة والرتبة الجليلة فقال ﷺ:" وما يزال الرجل يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا.... ". الحديث (رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ)

٥- ومن صفاتهم أنهم يتبعون سبيل الصادقين: الأنبياء، والمرسلين، وصحابة سيد الأولين والآخرين- صلى الله عليه وسلم- :

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة:١١٩)

ففي هذه الآية حض على التزام طريق الصادقين كما نقل ذلك الشوكاني عن سعيد بن جبير والضحاك ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أبي بكر وعمر— رضي الله عنهما- ونقل عن نافع أنه قال: قيل للثلاثة الذين خُلِّفوا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: مع محمد وأصحابه.

قال ابن العربي -رحمه الله-: وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى، فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة، والمخالفة في العمل، وصاحبها يقال له صديق ". اهـ بتصرف واختصار

(الجامع لأحكام القرآن: ٣١٢٨/٤)

فالمتقون فقط هم الذين يتبعون سبيل النبي ﷺ والذي فيه نجاتهم وخلاصهم.

٦- ومن صفاتهم أنهم يتحرون العدل ويحكمون به، ولا يحملهم بغض أحد على تركه:

قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨)

قال الزمخشري -رحمه الله- في" تفسيره الكشاف ٦١٢/١" عند تفسير هذه الآية:

" لا يحملنكم بغض المشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب مالا يحل لكم من مثله أو قذف، أو قتل أولاد، أو نساء، أو نقض عهد، أو ما أشبه ذلك ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ نهاهم أولًا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ لكونه لطفًا فيها. وفيه تنبيه عظيم على وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه؟ ". اهـ.

٧- ومن صفاتهم أنهم يعظمون شعائر الله:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:٤٤٤٨/٥" عند الآية السابقة: الشعائر: جمع شعيرة وهي كل شيء لله- تعالى- فيه أمر أشعر به وأعلم، ومنه شعار القوم في الحرب، أي علامتهم التي يتعارفون بها، ومنه إشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الأيمن فيسيل الدم فيكون علامة، فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة، فشعائر الإسلام أعلام دينه ولا سيما ما يتعلق

بالمناسك. وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب، ولهذا قال النبي ﷺ:" التقوى هاهنا وأشار إلى صدره ". (رواه مسلم). أهـ

فالمتقون يعظمون أوامر الله فيدفعهم ذلك إلى طاعته، ويعظمون كذلك ما نهى الله عنه فيدفعهم ذلك إلى عدم معصيته، وعكس ذلك الاستهانة بالأوامر فلا يؤديها، وبالنواهي فيقع فيها، قال أنس ﷺ كما عند البخاري: " إنكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ". يعني: المهلكات.

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ كما عند البخاري أيضًا:

" إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا(١) ".

قال العيني- رحمه الله-: السبب فيه أن قلب المؤمن منور، فإذا رأى في نفسه ما يخالف ذلك عظم الأمر عليه، والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل منه النجاة بخلاف الجبل إذا سقط عليه فإنه لا ينجو عادة. اهـ. (جامع الأصول: ١١/٥٠٨)

٨- ومن صفاتهم أنهم يتقون الشبهات- أي يدعون ما لا بأس به حذرًا مما به بأس-:

فقد أخرج الترمذي بسند فيه مقال من حديث عطية السعدي قال: قال رسول الله ﷺ:

" لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرًا مما به بأس ". (ضعفه الألباني)

والحديث إن كان ضعيفًا لكن المعني صحيح، ويشهد له الحديث الذي رواه البخاري تعليقا مجزومًا به عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في" فتح الباري: ١/٤٨":

" المراد بالتقوى وقاية النفس من الشرك، والأعمال السيئة، والمواظبة على الأعمال الصالحة، وقوله:

" حاك " أي: تردد، ففيه إشارة إلى أن بعض المؤمنين بلغ كنه الإيمان وحقيقته، وبعضهم لم يبلغ.

١- فقال به هكذا: يعني يحرك يده يذبه عن وجهه.

وقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى عن أبي الدرداء ﷺ قال:" تمام التقوى أن يتقى العبد الله حتى يتقيه من مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال، خشية أن يكون حراماً ". (الدر المنثور: ٦١/١)

وقد بين الله تعالى لعباده ما هم سائرون إليه، فقال: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة:٧-٨) فلا تحقرن شيئًا من الخير أن تفعله، ولا شيئًا من الشر أن تتقيه.

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يقول كما عند النسائي: " دع ما يريبك إلى مالا يريبك ".

ومعني ذلك أنهم يتركون كل ما يشكون في حله، فإن الحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه شك منه، وإنما تسكن إليه النفس.

ويؤكد النبي ﷺ على هذا فيقول كما عند البخاري:" إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ".

فالمتقون يتورعون عن الشبهات وعما يرتابون فيه مما ليس حلالًا بينًا، وذلك أدعى أن يتورعوا عن الحرام البين، ومن اجترأ على الشبهة اجترأ كذلك على الحرام.

كما جاء في الصحيحين:" فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ".

يعني من ترك الإثم مع اشتباهه عليه، فهو أولى بتركه إذا استبان أنه إثم.

قال موسى بن أعين -رحمه الله-:

" المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله ﷻ متقين ".

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله-:

" ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى ".

قال الحسن البصري-رحمه الله-:" المتقون اتقوا ما حرم عليهم، وأدوا ما افترض عليهم ".

وقال الحسن أيضًا:" ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال، مخافة الحرام ".

(جامع العلوم والحكم:١٥٩/١)

وقفة:

يقول ابن رجب -رحمه الله- كما في كتابه" جامع العلوم والحكم ص ١٠٣":

" وههنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة فإنه لا

يحتمل له ذلك بل ينكر عليه، كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق:" يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: هما ريحانتاي(١) من الدنيا ". (رواه البخاري)

وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها، فقال: إن كان برَّ أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل ". (جامع العلوم والحكم:١/١١١)

وسئل الإمام أحمد عن رجل يشترى بقلًا ويشترط الخوصة- يعني التي تربط بها حزمة البقل- فقال الإمام أحمد: إيش هذه المسائل؟ قيل: إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك، فقال الإمام أحمد: إن كان إبراهيم ابن أبي نعيم فنعم، هذا يشبه ذلك.

وإنما أنكر الإمام أحمد هذه المسائل ممن لا يشبه حاله، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا، وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع فإنه أمر من يشتري له سمنا فجاء به على ورقة فأمر برد الورقة إلى البائع. أهـ.

فأهل التقوى جمعوا من الصفات الحميدة التي لا نستطيع حصرها في هذا المقام، فأهل التقوى جمعوا خصال الخير كلها، ويظهر هذا أيضًا في قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٧٧)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ١/٢٠٧:

" اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة، فإن الله- تعالى- لما أمر المؤمنين أولًا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله ﷻ بيان حكمته في ذلك وهو أن المراد إنما هو طاعة اللهﷻ وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه.

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ قال الثوري- رحمه الله-: هذه الآية تشمل أنواع البر كلها، وصدق -رحمه الله- فإن من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخير كله.

﴿وَالْكِتَابِ﴾ وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله.

---

١ - قال ابن الأثير: (الريحان والريحانة): الرزق والراحة ويسمى الولد ريحانًا وريحانة لذلك

وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: أخرجه وهو محب له راغب فيه (قاله ابن مسعود وسعيد بن جبير)

وقوله: ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وهم قرابات الرجل وهم أولى من يعطي من الصدقة، ﴿وَالْيَتَامَى﴾ هم الذين لا كاسب لهم وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب. ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر المجتاز الذي قد نفدت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلدة ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وهم الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وهم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم، وقوله ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضى. ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ يحتمل أن يكون المراد به زكاة النفس وتخليصها من الأخلاق الدنيئة الرذيلة كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:٩-١٠) ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال (كما قال: سعيد ابن جبير) وقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ كقوله ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرحمن:٢٠) وقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ أي في حال الفقر وهو البأساء وفي حال المرض والأسقام وهو الضراء ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي في حال القتال والتقاء الأعداء. (قاله ابن مسعود وابن عباس-رضي الله عنهم-)

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون، لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات. اهـ باختصار وتصرف.

ويقول السعدي -رحمه الله- في تفسيره: ١٤٣/١:

عند قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقوله ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المتصفون بما ذكر، من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور، لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمنًا ولزومًا ". اهـ

وجاء في جامع الأصول: ٧٠٣/١١ " عن مالك بن أنس -رحمه الله- قال:

" بلغني أن رجلًا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير- رضي الله عنهما- يقول: ألا إن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، من رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النعماء، وصدق في اللسان، ووفى بالوَعْدِ والعَهْد، وتلا لأحكام القرآن، وإنما الإمامُ سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحق حمل إليه أهل الحق حقهم، وإن كان من أهلِ الباطلِ حمل إليه أهلُ الباطل باطلَهُم "

قال بعض السلف في وصف المتقين:

" هم الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع .غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء. ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى ربهم، عظم الخالق في أنفسهم؛ فصغر ما دونه في أعينهم، قلوبهم محزونة، وشرورهم

مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أيامًا قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم، يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلا، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا، وتطلعت نفوسهم إليها تشوقًا، وإذا مروا بآية فيها تخويف صغوا إليها بمسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم؛ فهم جاثون على ركبهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم. وأما النهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء. قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون. إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي. اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون.

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيمانًا في يقين، وحرصًا في علم، وعملًا في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة، وتجملًا في فاقة، وصبرًا في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وحرجًا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حذرًا من الغفلة، وفرحًا بما أصاب من الفضل والرحمة. إن استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريبًا أمله، قليلا زلله، خاشعًا قلبه، قانعة نفسه، سهلًا أمره، حريزًا دينه، ميتة شهوته، كظومًا غيظه. الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيدًا فحشه، لينًا قوله، غائبًا منكره، حاضرًا معروفه، مقبلًا خيره، مدبرًا شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينابذ بالألقاب، ولا يضر بالجار، ولا يشمت بالمصائب، وإن بغي عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة .اهـ.

فضل التقوى

هيا بنا لنطوف في حدائق وبستان التقوى لنقطف من ثمارها ونقف على شرفها وفضلها فنبادر حتى نكون من أهلها فنسعد في الدنيا والآخرة. فمن فضل وثمرات التقوى:

١- المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسب:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق:٢،٣)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: أي: ومن يتق الله فيما أمره به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجا، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي من جهة لا تخطر بباله.

وقال المفسرون: إن الآية نزلت في رجل من أصحاب النبي يقال له: عوف بن مالك الأشجعي.

وقد نقل القرطبي-رحمه الله- في تفسيره عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال:

" جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدوّ وجَزِعَت أمّه، وشكا إليه الفاقة، ثم قال: فما تأمرني؟ فقال ﷺ:" اتَّقِ الله واصبر، وآمرك وإيّاها أن تستكثِرا من قول لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللَّهِ ". فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإيّاكِ أن نستكثر من قول لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللَّهِ. فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان، فَغفَل العَدُوّ عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه؛ وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبيّ ﷺ تلك الأغنام له.

وفي رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلًا من العدوّ وكان فقيرًا. قال الكلبي: أصاب خمسين بعيرًا.

وفي رواية: فأفلتَ ابنه من الأسْر وركبَ ناقة للقوم، ومرّ في طريقه بسَرْح لهم فاستاقه. وقال مقاتل: أصاب غَنمًا ومتاعًا فسأل النبي ﷺ: أيحلّ لي أن آكل مما أتى به ابني؟ قال: "نعم". ونزلت: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

قال الربيع بن خثيم-رحمه الله-: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كل شيء ضاق على الناس.

وفي هذا يقول مجاهد: كنت عند ابن عباس-رضي الله عنهما- فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب أحموقته ثم يقول يا ابن عباس... يا ابن عباس.. والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وإنك لم تتق الله، فلا أجد لك مخرجًا، عصيتَ ربك، وبانت منك امراتك ". (محاسن التأويل ١٦/٣٨)

وكان ابن عباس يقول في هذه الآية ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ".

وقال عمر بن عثمان الصدفي-رحمه الله-: ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويتجنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي من حيث لا يرجو. (الجامع لأحكام القرآن: ٨/٦٦٤٤)

فمن يتقي الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ- أصحاب الغار:

فقد أخرج البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" خرج ثلاثةُ نَفَرٍ يمشون فأصابهم المطَر، فدَخَلوا في غارٍ في جبَل، فانْحَطَّت عليهم صَخْرةٌ، قال: فقال بعضُهم لبعض: ادعوا اللهَ بأفضلِ عَمَلٍ عَمِلتموه، فقال أحدُهم: اللهمَّ إني كان لي أبَوَانِ شَيْخانِ كبيران، فكنتُ أخرج فَأَرْعى، ثم أَجيء فأحْلِب فأجيء بالحِلاب، فآتي به أبويَّ فيَشْربان، ثم أَسقِيَ الصِّبْيَة وأهلي وامرأتي، فاحتَبَستُ ليلة، فجئتُ فإذا هما نائمان، قال: فكرهتُ أن أُوقِظَهما، والصِّبية يَتَضَاغَوْن عند رِجْلي، فلم يزل ذلك دَأْبي ودَأْبَهما، حتى طلَع الفجر، اللهم إن كنتَ تَعْلَمُ أنِّي فعلتُ ذلك ابْتغاء وجهِك، فافرُجْ عنا فُرْجة نرى منها السماء، قال: فَفُرِج عنهم، وقال الآخر: اللهم إن كنتَ تعلم أني كنتُ أُحبُّ امرأةً مِن بنات عمي كأَشَدِّ ما يُحبُّ الرجلُ النساء، فقالت: لا تَنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسَعيْتُ فيها حتى جَمَعتُها، فلما قَعَدتُ بيْن رِجليْها قالت: اتقِ الله ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقمتُ وتركتُها، فإن كنتَ تعْلَم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهِك، فافرُجْ عنا فُرْجَة، قال: ففُرِج عنهم الثُّلُثيْنِ، وقال الآخر: اللهم إن كنتَ تعْلَم أني اسْتَأجَرْتُ أجيرًا بفَرَق من ذُرَة فأعْطيتُه، وأَبَى ذاك أنْ يأخُذَ، فعَمَدتُ إلى ذلك الفَرَق فزرعتُه، حتى اشتريتُ منه بقرًا وراعِيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعْطِني حَقِّي، فقلتُ: انطلقْ إلى تلك البقر وراعِيها فإنها لك، فقال: أتستهْزِئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافْرُجْ عنا فكُشِف عنهم ".

ب - قصة ابن عمر-رضي الله عنهما- مع راعي الغنم:

" يقول نافع مولى ابن عمر: خَرَج عبد الله بن عُمر- رضي الله عنهما- في بعض نواحي المدينة، ومعه أَصحاب له؛ ووضعوا السَّفرة له، فمر بهم راعي غنم، فسلم، فقال ابن عمر: هَلُم يا راعي فأَصبْ من هذه السّفْرَة. فقال له: إني صائم. فقال ابن عمر: أَتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سَمُومُه، وأَنت في هذه الحال ترعى هذه الغنم؟ فقال: والله إني أُبَادرُ أَيامي هذه الخالية. فقال له ابن عمر ـ وهو يريد أَن يختبر وَرَعَه ـ: فهل لك أَن تبيعنا شاة من غنمك هذه فَنُعْطِيَك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولّى الراعي عنه، وهو رافعٌ أَصبعه إلى السماءِ، وهو يقول: فأَين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يَرِدّد قولَ الراعي، يقول: "قال الراعي فأَين الله؟" قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأَعتق الراعي ووهب له الغنم " (اسد الغابة لابن الأثير: ٣/٣٤١)

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

ج – جريج العابد:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ: ثم ذكر الحديث وفيه: وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ الرَّاعِي. قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لاَ إِلَّا مِنْ طِينٍ ".

د – قصة ابن عقيل الحنبلي –رحمه الله–:

قال أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي: حكى ابن عقيل عن نفسه قال: حججتُ، فالتقطتُ عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعتُ، وخرجتُ إلى الشام، وزرتُ القدس، وقصدتُ بغداد، فأويتُ بحلب إلى مسجدٍ وأنا بردان جائع، فقدموني، فصليتُ بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا تُوفِّي فصلِ بنا هذا الشهر، ففعلتُ، فقالوا: لإمامنا بنت، فزوَّجتُ بها، فأقمتُ معها سنة، وأولدتها ولدًا ذكرًا، فمرضتْ في نفاسها، فتأملتها يومًا فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر، فقلتُ لها: لهذا قصة، وحكيتُ لها، فبكتْ، وقالت: أنتَ هو والله، لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق ابنتي مثل الذي ردَّ العقد عليّ، وقد استجاب اللهُ منه، وعاشت معه ثم ماتتْ، فأخذتُ العقد والميراث، وعاد إلى بغداد ". (سير أعلام النبلاء: ١٩/٤٤٥، نزهة الفضلاء: ١٣٧٢/٣٥)

هـ– قصة مبارك (والد عبد الله بن المبارك–رحمه الله–):

كان المبارك عبدًا رقيقًا يشتغلُ أجيرًا عند صاحب بستان، وفي ذات يومٍ خرَج صاحبُ البستان مع أصحابٍ له إلى البستان وقال للمُبارك: ائتِنا برمَّان حلو، فقطف المبارك رمانات ثم قدَّمَها إليهم، فإذا هي حامضةٌ، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال المبارك: لم تأذَنْ لي أنْ آكُل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرسُ البستان وتقول هذا! وظَنَّ أنَّه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكَل رمانة واحدة، فقال له صاحب البستان: يا مبارك، أريد أنْ أستشيرَك في أمر هام، إنَّني ليس عندي إلا ابنة واحدة، فلمَن أُزوِّجها؟ فقال له: يا سيِّدي، لقد كان اليهود يُزوِّجون للمال، والنصارى يُزوِّجون للجمال، والعربُ يُزوِّجون للحسَب، والمسلمون يُزوِّجون للتَّقوى، فمن أيِّ الأصناف أنت زوج ابنتك للصِّنف الذي أنت منه، فقال: والله لا أُزوِّجها إلا على التقوى، وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتُك وزوَّجتك ابنتي."

سبحان الله! عَفَّ المبارك عن رمَّانةٍ من البستان، فسِيق إليه البستانُ وصاحبته، وصدق الله فيما قال:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ومن هذا البيتِ خرَج عبد الله بن المبارك الذي ملأ الدنيا عِلمًا ووَرَعًا، وكان يقولُ: لأنْ أردَّ درهمًا من شُبهةٍ خيرٌ لي من أنْ أتصدَّق بمائة ألف دِرهم ومائة ألف درهم، حتى عَدَّ ستمائة ألف درهم.

٢- التقوى سبب للسهولة واليسر في كل أمر:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق:٤)

قال مقاتل-رحمه الله-: ومن يتق الله في اجتناب معاصيه؛ يجعل له من أمره يسرًا في توفيقه للطاعة.

(الجامع لأحكام القرآن)

وصدق الله حيث قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ (الليل: ٥-٧) لقد أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى، وبالنهار إذا تجلى، إن سعيكم لشتى، أي إن عملكم لمختلف فمنكم تقي، ومنكم شقي، ومنكم صالح، ومنكم طالح، ثم فسره بقوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ أي فأما من أعطى ما أُمِرَ بإخراجه، واتقى الله في أموره ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: صدق بالجنة التي أعدها الله للأبرار ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي: فسنهيئه لعمل الخير ونسهل عليه الخصلة المؤدية لليسر وهي فعل الطاعات وترك المحرمات. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ أي: وأما من بخل بإنفاق المال واستغنى عن عبادة ذي الجلال. قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: بخل بماله واستغني عن ربه ﷻ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: كذب بالجنة ونعيمها ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي: فسنهيئه للخصلة المؤدية للعسر وهي الحياة السيئة في الدنيا والآخرة وهي طريق الشر.

قال المفسرون في الآية السابقة:" سمي طريقة الخير يسرى، لأن عاقبتها اليسر، وهو دخول الجنة دار النعيم، وسمى طريقة الشر عُسْرى، لأن عاقبتها العسر، وهو دخول الجحيم.

٣- التقوى سبب لمحبة الله -عز وجل-، ومحبة ملائكته، والقبول في الأرض:

قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:٧٦)

- وأخرج الإمام مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" إن الله يحب العبد التقى، الغني، الخفي ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

" إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأحبه، فيحبه جبريل -عليه السلام-، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض ".

وكتب أبو الدرداء ﷺ إلى مسلمة بن خالد:

" سلام عليكم أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده ".

وعن هرم بن حبان –رحمه الله– قال:

" ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه حتى يرزقهم مودته ".

لقد وعد الله ﷻ عباده المؤمنين الذين يداومون على الأعمال الصالحة بهذه المودة والمحبة

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم:٩٦)

٤– التقوى سبب لإطلاق نور البصيرة، فيفرق بين الحق والباطل، والخير والشر:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الأنفال:٢٩)

قال محمد رشيد رضا –رحمه الله–:" الفرقان في اللغة هو الصبح الذي يفرق بين الليل والنهار، ويسمى القرآن فرقانًا لأنه يفرق بين الحق والباطل، وتقوى الله في الأمور كلها تعطى صاحبها نورًا يفرق به الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والخبيث والطيب، ولا يقتصر الأمر على ذلك بالنسبة للمتقين بل يكفر الله عنهم سيئاتهم ويسترها لهم في الدنيا ويغفر لهم ولا يعاقبهم عليها في الآخرة، فمن اتقاه وقاه وجعل له نورًا يمشى به ".

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحديد:٢٨)

فيالها من بشرى للمتقين: يؤتيهم الله كفلين أي: ضعفين من رحمته.

وقد أخرج البخاري والإمام أحمد عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالًا، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن أكثر عملًا وأقل عطاء، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي أوتيه من أشاء ".

وفوق هذا زادهم فقال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ وهل يرى الإنسان إلا بنور الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور:٤٠) وبعد هذه الهداية والتوفيق والإرشاد يمتن الله بنعمته على المتقين فيغفر لهم.

٥– التقوى سبب لتيسير العلم النافع:

قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٨٢)

قال محمد رشيد رضا-رحمه الله- في تفسيره المنار:" أي اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم وحفظ أموالكم وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك، وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئًا فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح لمن تبع شرعه. اهـ.

٦- والتقوى تدخل صاحبها ولاية الله:

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية:١٩)

قال تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:٣٤)

٧- التقوى سبب للبشرى وهي الرؤيا الصالحة وثناء الخلق ومحبتهم:

قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (يونس:٦٢-٦٤)

قال الزمخشري-رحمه الله-: قيل: إن البشرى هي الرؤيا الصالحة، كما عند البخاري من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ". وقال ﷺ كما عند الترمذي:" هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له ".

وقيل: البشرى هي محبة الناس له، والذكر الحسن. كما جاء في رواية الإمام مسلم من حديث أبي ذر ﷺ أنه قال:" قلت لرسول الله ﷺ الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس، فقال: تلك عاجل بشرى المؤمنين ".

قال العلماء: معناه: هذه هي البشرى المعجلة له بالخير، وهي الدليل على رضا الله-تعالى-عنه ومحبته له، فيحببه إلى خلقه – كما مر بنا في الحديث – ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لمحامدهم وإلا فالتعرض مذموم.

وقيل: هي البشارة عند الموت وفي الآخرة، قال عطاء-رحمه الله- لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة، قال الله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ (فصلت:٣٠)

- وأما البشرى في الآخرة فعندما تتلقاهم الملائكة مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بإيمانهم وما يقرءون منها، وغير ذلك من البشارات. (الكشاف: ٣٥٦/٢ باختصار)

وصدق ربنا حيث قال: ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف:٣٥)

٨- التقوى سبب للحفاظ من كيد الأعداء ومكرهم، وهي باب النصر والمدد من الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران:١٢٠)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٣٢٩/١":

" يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة إلا به، وهو الذي ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ".

قال الزمخشري –رحمه الله–:" وإن تصبروا على عداوتهم، وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو أن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه، وتتقوا الله في اجتناب محارمه، وكنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى، وقد قال بعض الحكماء: " إذا أردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلًا في نفسك ".

اهـ. (الكشاف: ٤٠٨/١)

والله ﷻ يمتن على الذين صبروا واتقوا بالنصر والمدد من عنده سبحانه:

قال تعالى: ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

(آل عمران:١٢٥)

٩- التقوى سبب للمعية الخاصة، وهي سبب في نصرة الله –عز وجل– وتأييده وتسديده:

وهذه المعية هي المقصودة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل:١٢٨)

وبقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:١٩٤)

فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد، وهي معية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه، ومعيته للمتقين والصابرين.

قال ابن رجب –رحمه الله–:" وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ (الحديد:٤) وقوله: ﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء:١٠٨)

فإن المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة والرعاية كما قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (طه:٤٦) (نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس:٤١)

والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله ﷻ، وأما الخاصة فتستوجب من العبد الأنس بالله ﷻ والثقة بنصره وتأييده.

قال قتادة –رحمه الله–:" ومن يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل ".

وكتب بعض السلف إلى أخيه، فقال له:

" أما بعد إن كان الله معك فمن تخاف، وإن كان عليك فمن ترجو ".

١٠- التقوى سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (فصلت:١٧-١٨)

قال ابن كثير-رحمه الله-: في" تفسيره: ٤/٩٥":﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ قال ابن عباس- رضي الله عنهما- وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد: بينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح- عليه الصلاة والسلام-، فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله- تعالى- التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ أي: بعثنا عليهم صيحة ورجفة وذلًا وعذابًا ونكالًا ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه السلام بإيمانهم وتقواهم لله ﷻ".

١١- التقوى سبب لنزول البركات من السماء والأرض، ورفع البلايا والأزمات:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف:٩٦).

قال القاسمي -رحمه الله- في" محاسن التأويل: ٧/٢٢١":

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ أي: القرى المهلكة ﴿آمَنُوا﴾ أي: بالله ورسلهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ أي: الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب، مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الأرض " اهـ.

وقال الإمام الرازي -رحمه الله-:" بركات السماء بالمطر، وبركات الأرض بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة، وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنها يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره ".

ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن:١٦).

قيل لأحد الصالحين: إن الأسعار قد ارتفعت قال: أنزلوها بالتقوى.

ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في كتابه" الجواب الكافي ص٦٧":

" فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة يخرج عبدًا من عباده من أهل بيت نبيه ﷺ فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورًا، ويقتل المسيح عيسى ابن مريم اليهود والنصارى، ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وتخرج

الأرض بركتها، وتعود كما كانت، حتى أن العصابة من الناس ليأكلون من الرمانة ويستظلون بقحفتها، ويكون العنقود من العنب وقر بعير، ولبن اللقمة الواحدة يكفي الفئام من الناس، وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيما أثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر. اهـ.

فانظر إلى بركات التقوى واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة ونقص الثمار وكثرة الآفات والأمراض إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصي، كما قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم:٤١)

١٢- التقوى سبب لحفظ الذرية الضعاف بعناية الله -عز وجل-:

قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩)

فيا من يستبد بهم القلق على مستقبل أبنائهم من بعدهم، ها هي مظلة التأمين الإسلامية فإذا كنت تريد أن تكون سارية المفعول، مستحقة السداد، فعليك بتقوى الله.

قال القاسمي -رحمه الله- في محاسن التأويل:

" وفي الآية إشارة إلى إرشاد الأباء الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى: ويكون في إشعارها بتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في الآية:

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف:٨٢)

فإن الغلامين حفظا في أنفسهما وما لهما ببركة صلاح الآباء. اهـ بتصرف (محاسن التأويل: ٤٧/٥)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:٤٣/١١": وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فيه ما يدل على أن الله-تعالى- يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإن بعدوا عنه، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٦)

قال محمد بن المنكدر-رحمه الله-:

" إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده، وولد ولده، وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ الله وستره ". (رواه الحميدي في مسنده:١٨٥/١) (وراه ابن المبارك في الزهد:٣٣٠/١)

وقال ابن المسيب-رحمه الله- لابنه:

" يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك وتلا هذه الآية (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (الكهف:٨٢)

(جامع العلوم والحكم:١٨٧/١)

ومما يدل على أن صلاح الآباء وتقواهم يعود على أبنائهم، وأن التقوى هي خير زاد يتركه الآباء للأبناء؛ ما ذكره ابن كثير-رحمه الله- في كتابه "البداية والنهاية: ٢٠٨/٩":

عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- وهو في سياق الموت: فقال:

" يا أمير المؤمنين: إنك أفقرت أفواه ولدك (وكانوا اثني عشر ولدًا) من هذا المال، وتركتهم عيلة (فقراء) لا شيء لهم، فلو وصيت بهم إليّ- وكان مسلمة أخًا لفاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز- وإلى نظرائي من أهل بيتك، فقال عمر بن عبد العزيز: أسندوني، ثم قال: أما قولك إني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال، فوالله إني ما منعتهم حقا هو لهم، ولم أعطهم ما ليس لهم، وأما قولك: لو أوصيت بهم فإن وصيي ووليي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

إن بني أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مكب على المعاصي، فإني لم أكن أقويه على معاصي الله، ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرًا، فنظر إليهم فذرفت عيناه، ثم قال: أي بني، إن أباكم خير بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

(صفة الصفوة لابن الجوزي: ١٢٥/٢، ١٢٦)

قال ابن كثير-رحمه الله-: قال بعض السلف: " لقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرسًا في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك، مع كثرة ما ترك لهم من الأموال، يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبدالعزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله ﷻ، وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم ". (البداية والنهاية لابن كثير: ٢١٨/٩)

١٣- التقوى سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧)

- قال الزمخشري -رحمه الله-: في تفسيره" الكشاف: ٦٢٤/١":

لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده لأخيه بالقتل قال له: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي، فلم تقتلني، ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول، فأجابه بكلام حكيم جامع لمعاني الخير وفيه دليل على أن الله- تعالى- لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم.

- وعن عامر بن عبد الله أنه بكي حين حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك فقد كنت وكنت؟ قال: إني أسمع الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. اهـ.

- وقال الغزالي-رحمه الله-: تأمل أصلًا واحدًا وهو أنه هب أنك قد تعبت جميع عمرك في العبادة، وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت، أليس الشأن كله في القبول، ولقد علمت أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فرجع الأمر كله إلى التقوى. (منهاج العابدين: ص٧٢).

- وقال بعض السلف(١): لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

١٤- الذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين:

قال أبو الدرداء ﷺ: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم وكيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين ".

وهذا من جواهر الكلام وأدلّه على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم فى كل خير فرضى الله عنهم أجمعين، فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه لا ببدنه والتقوى فى الحقيقة تقوى الروح لا تقوى الجوارح، فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل، أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير والتقدم والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه فى همته تقدم عليه بعمله. اهـ (الفوائد لابن القيم ص١٨٦ باختصار).
فالأعمال تتفاضل بحسب ما فى قلوب أصحابها من إيمان وتقوى لله ﷻ، وإن الرجلين ليكونا فى صف واحد وخلف إمام واحد يكبران بتكبيره ويسلمان بتسليمه، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وكم من قائم محروم وكم من نائم مرحوم، هذا قام وقلبه فاجر وهذا نام وقلبه عامر فالسير سير القلوب والسبق سبق الهمم.

من لي بمثل سيرك المدَلَّل تسير رُوَيدًا وتجئ فى الأَوَّلِ

١٥- التقوى سبيل لنيل الشرف وهيبة الخلق وحلاوة المعرفة والإيمان:

قال ابن رجب-رحمه الله- في شرحه لحديث: "ما ذئبان جائعان " ص ٢١-٢٢:

مما يرغب فى شرف الآخرة) وليس هو قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يجعله الله لهم فى الدنيا من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم فى الظاهر، ومن حلاوة المعرفة والإيمان والطاعة فى الباطن , وهى الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن , وهذه الحياة الطيبة لم يذقها الملوك فى الدنيا ولا أهل الرئاسات والحرص على الشرف،كان حجاج بن أرطاة يقول: قتلنى حب الشرف، فقال له سوار لو اتقيت الله شرفت، وفى هذا المعنى قيل:

١- رواه ابن عبد البر في" التمهيد :٤/٢٦٥" ولفظه: جاء سائل إلى ابن عمر-رضي الله عنهما- فقال لابنه أعطه دينارًا، فقال له ابنه: تقبل الله منك يا أبتاه، فقال: لو علمتُ أن الله تقبل مني سجدة واحدة، أو صدقة درهم واحد لم يكن غائب أحب إليَّ من الموت، أتدري ممن يتقبل الله؟ إنما يتقبل الله من المتقين ".

ألا إنَّما التقوى هي العِزُّ والكرمُ وحُبُّك للدنيا هو الذُّلُّ والسقَمُ
وليس على عبدٍ تقى نقيصةٌ إذا حقَّق التقوى وإن حاك أو حجم

وقال صالح الباجي: الطاعة إمرة، والمطيع لله أمير مؤمر على الأمراء، ألا ترى هيبته فى صدورهم إن قال قبلوا، وإن أمر أطاعوا، ثم يقول: يحق لمن أحسن خدمتك ومننت عليه بمحبتك أن تذلل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته فى صدورهم من هيبتك فى قلبه، وكل الخير من عندك بأوليائك.

وقال ذو النون المصري: من أكرم وأعز ممن انقطع إلى من ملك الأشياء بيده.

كان مالك بن أنس يهاب أن يسأل حتى قال فيه القائل:

يـدعُ الجواب ولا يُـرجع هيبةً والسَّائِلـون نـواكس الأذقـان

نُورُ الوقارِ وعزُّ سلطان التُّقى فهو المهيب وليس ذا سُلطان. أهـ باختصار

١٦- التقوى سبب لتكفير السيئات، وتعظيم الأجر:

وتكفير السيئات سبب للنجاة من النار، وعظم الأجر وهو سبب الفوز بدرجات الجنة.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق:٥)

قال ابن كثير-رحمه الله-: في" تفسيره: ٣٨٢/٤":

أي: يذهب عنهم المحظور، ويجزل لهم الثواب على العمل اليسير. اهـ.

وقال ابن جرير-رحمه الله-: في" تفسيره: ٩٣/١٢": ومن يخف الله فيتقه باجتناب معاصيه وأداء فرائضه يمح الله عنه ذنوبه وسيئات أعماله ﴿ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ يقول ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر أن يدخله جنته فيخلده فيها. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (المائدة:٦٥)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (الأحزاب:٧٠،٧١)

١٧- أهل التقوى لهم عز الفوقية فوق الخلق يوم القيامة:

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (البقرة:٢١٢)

قال القاسمي-رحمه الله- في "محاسن التأويل: ١٨٢/٣-١٨٥":

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ لحضورها فألهتهم عن رغائب الآخرة، وقوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ أي: يهزأون ﴿مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ وهذا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾

(المطففين:٢٩-٣٠) ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وهم المؤمنون وإنما ذكروا بعنوان التقوى لحضهم عليها، وإيذانًا بترتيب الحكم عليها ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لأنهم في عليين وهم في أسفل سافلين، أو لأنهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ (المطففين:٣٤-٣٥) ولذا قال الراغب: يحتمل قوله تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وجهين: أحدهما: أن حال المؤمنين في الآخرة أعلى من حال الكفار في الدنيا، والثاني: أن المؤمنين في الآخرة في الغرفات، والكفار في الدرك الأسفل من النار. اهـ باختصار.

١٨- أهل التقوى تجمعهم التقوى تحت مظلة المحبة والخلة حين تنقلب كل صداقة ومحبة إلى عداوة ومشاقة:

قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧)

قال الزمخشري-رحمه الله- في" تفسيره الكشاف: ٢٦٣/٣":

تتقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتًا إلا خلة المتصادقين في الله فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله، وقيل: إلا المتقين والمجتنبين أخلاء السوء. اهـ.

فالمتقون هم الذين تدون محبتهم وخلتهم كما قيل:

ما كـان للـه دام واتصـل وما كان لغير الله انقطع وانفصل

ومن بركة التقوى كذلك ينزع الله ﷻ ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٥-٤٧)

ونقل ابن الجوزي-رحمه الله- في زاد المسير: ٤٠٤/٤: عن ابن الأنباري-رحمه الله- أنه قال:

ما مضى من التآخي قد كان تشوبه ضغائن وشحناء، وهذا التآخي بينهم الموجود عند نزع الغل هو تآخي المصافاة والإخلاص.

١٩- والتقوى سبب النجاة من شدائد الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر:٦١)

قال ابن عباس— رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

(مريم:٧١،٧٢)

فإن الله سبحانه وتعالى يشمل المتقين برحمته فينجيهم من جهنم ويترك فيها الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم تعذيبًا لهم.

وصدق ربنا حيث قال وقوله الحق: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (الليل:١٧-٢١)

نعم سيجنبها وسيبعد عن النار التقي النقي الذي يؤتي ماله يتزكى، أي: الذي ينفق ماله في وجوه الخير ليزكي نفسه، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي: وليس لأحد عنده نعمة حتى يكافئه عليها، وإنما ينفق لوجه الله. وقد قال المفسرون:" نزلت الآيات في حق أبي بكر الصديق ﷺ حين اشترى بلالًا وأعتقه في سبيل الله فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت الآية: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ أي: ليس له غاية إلا مرضاة الله ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أي: سوف يعطيه الله في الآخرة ما يرضيه، وهو وعد كريم من رب رحيم.

- ومما يدل على أن التقى سبب للنجاة من شدائد الدنيا والآخرة:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث رفاعة ﷺ أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى فرأي الناس يتبايعون، فقال:" يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال:" إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجارًا إلا من اتقى الله وبر وصدق ".

٢٠- والتقوى سبب للمغفرة والرحمة:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء:١٢٩)

يقول السعدي-رحمه الله- في تفسيره:٤٦٦/١" عند هذه الآية:" ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ ما بينكم وبين زوجاتكم؛ وبإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتسابًا وقيامًا بحق الزوجة، وتصلحوا أيضًا فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضًا بين الناس فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقًا، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفر ما صدر منكم، من الذنوب، والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهنَّ.

٢١- التقوى سبيل لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾

(آل عمران: ١٩٨)

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى (١) الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد:٣٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ(٢) وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر:٤٥-٤٨)

وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٣٠-٣٢)

وقال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ(٣) لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (ق:٣١-٣٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات:١٥-١٩)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ (٤) مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

(الطور:١٧-٢٨)

وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (المائدة:٦٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الدخان:٥١-٥٧)

١- عقبى: أي عاقبتها المحمودة وهي الجنات

٢ - نصب: أي تعب وإعياء

٣ - أزلفت الجنة: أي قربت وأدنيت

٤- وما ألتناهم: أي ما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ (١) وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (محمد:١٥)

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٤-١٥)

- وأخرج الترمذي وابن حبان عن أبي أمامة صُدي بن عجلان الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: " اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم ". (صحيح الجامع: ١٠٩)

- وأخرج البزار وابن خزيمة وابن حبان من حديث عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال:

" جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله ﷺ فقال: إني شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وصمت رمضان وقمته، وآتيت الزكاة، فقال رسول الله ﷺ: من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء ".

ففعل المأمور واجتناب المحظور، وهو ما يعرف بالتقوى، سبيل لدخول الجنة.

- وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله، وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: الأجوفان: الفم والفرج ".

(صححه الألباني في صحيح الترمذي: ٢/١٩٤)

---

١ - ماء غير آسن: أي غير متغير ولا منتن

٢٢- أهل التقوى لهم ميراث الجنة فهم أحق الناس بها:

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم:٦٣)

فهم الورثة الشرعيون لجنة الله –عز وجل-.

قال الزمخشري-رحمه الله- في تفسيره" الكشاف: ٣/٢٨":

﴿نُورِثُ﴾ وقرئ (نُورِّث) استعارة أي: نبقى عليه الجنة كما نبقى على الوارث مال المورث، ولأن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة قد انقطعت أعمالهم وثمراتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة فقد أورثهم من تقواهم كما يورث المال من المتوفَّى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا.

وقال تعالى: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (القلم:٣٤)

٢٣- وأهل التقوى لا يذهبون إلى الجنة سيرًا على أقدامهم بل يحشرون إليها ركبانا:

مع أن الله ﷻ يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعا لمشقتهم كما قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾

(ق:٣١)

ومع هذا يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ (مريم:٨٥)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٣/١٣٧":

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا، واتبعوا رسله، وصدقوهم فيما أخبروا، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما زجروهم، أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه، والوفد هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود، وركوبهم على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه. اهـ.

وقال الزمخشري-رحمه الله- في" تفسيره: ٣/٤٢":

" ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذى غمرهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفود على الملوك منتظرين للكرامة عندهم، وعن عليٍّ ﷺ قال: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكنهم على نوق رحالها ذهب، وعلى نجائب سروجها ياقوت. (أخرجه ابن أبي شيبة)

٢٤- أهل التقوى يسعدون بالصحبة والمحبة وهم يساقون إلى الجنة زمرًا زمرًا:

قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (١) حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر:٧٣)

قال ابن كثير-رحمه الله- في" تفسيره: ٤/٥":

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدًا إلى الجنة (زُمَرًا) أي: جماعة المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم كل طائفة مع ما يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، وكل زمرة تناسب بعضها بعضًا. اهـ.

وقال القرطبي –رحمه الله- في تفسيره" الجامع لأحكام القرآن: ٧/٥٧٢٨":

وقوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ وهم الزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقي الله تعالى وعمل بطاعته، وقال في حق الفريقين: ﴿وَسِيقَ﴾ بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين. اهـ.

وقيل كل جماعة أو طائفة تعاونت على الخير والطاعة فإنهم ينادون يوم القيامة ويكونون زمرة من الزمر المساقة إلى الجنة.

١- زمرا: أي جماعات متفرقة متتابعة

٢٥- وأهل التقوى يفوزن بأعلى الدرجات في الجنة:

قال تعالى: ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾

(الزمر:٢٠)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا(١) (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا(٢) (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ (النبأ:٣١-٣٦) وقال تعالى: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

(ص:٤٩)

والمآب هو المرجع والمنقلب ثم فصل ذلك عز وجل فقال تعالى: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ(٣) أَتْرَابٌ (٥٢) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ (ص:٥٠-٥٤)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(المرسلات:٤١-٤٣)

وبين الله- تعالى- قربهم وفوزهم باللقاء والرؤية والبهاء فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ (ص:٥٤-٥٥)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره" الجامع لأحكام القرآن: ٦٣٢٠/٧":

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ أي: يقدر على ما يشاء، (وعند) هاهنا عنديه القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة.

وقال الزمخشري – في تفسيره" الكشاف: ٢٤٢/٤":

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضى، وقرئ ﴿فِي مَقاعد صِدْقٍ عند مليك مقتدر﴾ فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته، فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها، والسعادة بأسرها. اهـ.

ولا عجب من ذلك فقد جمع الله ﷻ للمتقين كل نعيم الآخرة:

---

١ - كواعب أترابا: فتيات ناهدات مستويات في السن

٢ - كأسًا دهاقا: أي: مترعة مليئة من خمر الجنة

٣- قاصرات الطرف: حور لا ينظرن إلى غير أزواجهن

قال تعالى: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٣٥)

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣)

ووصف دارهم فقال تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل:٣٠)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (القلم:٣٤)

فعليك بتقوى الله فالزمها تـفز إن الـتقى هو البهيُّ الأهيب

واعمل بطاعته تنل منه الرضا إن المطيع لــه لديــه مُقربُ

وقال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

نـدمت على ألا تكــن كمثلــه وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

تتمة للفائدة وردًا على هذا السؤال الذي يفرض نفسه: كيف يتقى الإنسانُ ربه؟

فبعد أن بان لك شرف التقوى، وتشوقت النفوس إليها، فقد يقول قائل: بالله عليك كيف أحوز هذه الجوهرة النفيسة وأصل إلى هذه المرتبة الشريفة، فإن المؤمن إذا رُغِبَ في الخير رغب، وإذا خُوِفَ من الشر هرب، ولا خير فيمن إذا زجر لا ينزجر، وإذا أمر لا يأتمر.

قال الغزالي-رحمه الله-:" إنما الفضيلة فى أمر هذه النفس أن تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية، وتصونها عن كل فضول، فإذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى فى عينك وأذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع أركانك، وألجمتها بلجام التقوى فمن أراد أن يتقى الله فليراع الأعضاء الخمسة فإنهن الأصول: وهي العين والأذن واللسان والقلب والبطن، فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضررًا فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال، وإذا حصل صيانة هذه الأعضاء فمرجو إن يكف سائر أركانه، ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى ". (منهاج العابدين ص ٦٧)

فإن قلت: كيف لي أن أصون الأعضاء الخمسة عن معصية الله ﷻ؟ وكيف أقيدها بطاعة الله؟

نقول وبالله التوفيق: إن هذا لا يكون إلا بأمور خمسة:

أولاها: محبة الله ﷻ والتي إذا غلبت على قلب العبد؛ فإنه يدع لها كل محبوب، ويضحى في سبيلها بكل مرغوب.

ثانيها: أن تستشعر فى قلبك مراقبة الله ﷻ وتستحى منه حق الحياء.

ثالثها: أن تعلم عاقبة المعاصي والآثام من الشرور والآلام.

رابعها: أن تعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك.

خامسها: أن تدرس مكائد الشيطان ومصائده، وأن تحذر من وساوسه ودسائسه.

ولنا مع كل عنصر وقفة:

أولًا: محبة الله -عز وجل-:

يقول ابن القيم-رحمه الله-:" فالمحبة شجرة فى القلب، عروقها الذل للمحبوب وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصًا ". (روضة المحبين ص٩٠٤)

وقال ابن رجب- رحمه الله-:

ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين: إحداهما: فرض لازم، وهى أن يحب الله سبحانه وتعالى محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه، وبغض ما حرمه عليه، ومحبة لرسوله المبلغ عنه أمره و نهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتلقى ذلك بالرضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملة، وعموما لله ﷻ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموما لله ﷻ وهذا القدر لابد منه فى تمام الايمان الواجب، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك، فإن المحبة الواجبة تقتضى فعل الواجبات وترك المحرمات.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا أفضل مستحب مندوب إليه.

وفى صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ:

" من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي فى قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته ".

قال ابن القيم-رحمه الله- في" روضة المحبين ص٤١٦":

ولو لم يكن فى المحبة إلا أنها تنجي محبه من عذابه، لكان ينبغي للعبد ألا يتعوض عنها بشيء أبدًا. وسئل بعض العلماء أين تجد فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه: قال فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ (المائدة:١٨)

الأسباب الجالبة للمحبة:

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه.

٢- التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض.

٣- دوام ذكره بالقلب واللسان.

٤- إيثاره محابه على محابك عند غلبات الهوى.

٥ – مطالعة أسمائه وصفاته، ومشاهدتها، والتقلب فى رياض معانيها.

٦- تذكر نعمه وإحسانه وبره على العبد، فإن القلوب جلبت على محبة من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.

٧- الخلوة به وقت النزول الإلهي والإذن العام، عند قوله ﷻ:

هل من سائل...؟ هل من تائب...؟ هل من مستغفر؟ (حديث النزول رواه البخاري ومسلم).

٨- مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم.

٩- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله من الشهوات والشبهات.

١٠- تذكر ما ورد فى الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد.

ولا شك فى أن الاشتغال بهذه الأسباب الجالبة للمحبة مما يشغل القلب بطاعة الله ويبعده عن المعاصي، ثم إذا كملت المحبة فإن المحب لا يعصى محبوبه كما قيل:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

بل لا يكتفي المحب بفعل الطاعات والكف عن المنهيات فقط، بل يكون منتهى راحته وسعادته هي طاعة الله.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:" وجعلت قرة عيني فى الصلاة ". (الصحيحة: ١٨٠٩)

وكان يصلى حتى ترم ساقاه وتشقق قدماه فيقال له فى ذلك فيقول ﷺ:" أفلا أكون عبدًا شكورًا ".

(رواه البخاري)

فمحبة الله ﷻ من أعظم أسباب التقوى، كما قال القائل:

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام

فإن المحب يسر بخدمة محبوبه وطاعته، ولا تطاوعه نفسه على معصيته كما قال بعض الصالحين: إني لا أحسن أن أعصى الله. أي أن جوارحه لا تأتى معه فى المعصية، لمحبتها للطاعات، وبغضها للمعاصي.

كما نصحت إحدى الصالحات من السلف بنيها فقالت لهم:

" تعودوا حب الله وطاعته فإن المتقين ألفت جوارحهم الطاعة فاستوحشت من غيرها، فإذا أمرهم الملعون بمعصية، مرت المعصية بهم محتشمة فهم لها منكرون ".

فنسال الله الغنى الكريم أن يمن علينا بمحبته وأن يوفقنا لأسباب فضله ورحمته.

ثانيًا: ومما يعين على تقوى الله ﷻ أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله ﷻ عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد فى الطاعة:

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد:٤)

قال ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره ٤/٣٠٤ ":

أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم، من بر أو بحر، فى ليل أو نهار، فى البيوت أو القفار، الجميع فى علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم. اهـ.

وقال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (هود: ٥)

قال الشنقيطي-رحمه الله- في تفسيره" أضواء البيان: ٣/٩-١٠":

بين الله- تعالى- فى هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر وما يعلن وما يسر والآيات المبينة لهذا كثيرة جدا كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦) وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ﴾ (البقرة: ٢٣٥) وقوله: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (الأعراف: ٧) وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (يونس: ٦١) ولا تقلب ورقة من المصحف الكريم إلا وجدت فيها آية بهذا المعنى. اهـ.

وقد دلت الأحاديث الشريفة على ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات من وجوب مراقبة الله تعالى، والاستحياء منه حق الحياء.

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" استحيوا من الله حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الأخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء".

قال البيضاوي-رحمه الله-: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول.

وقال سفيان بن عيينة-رحمه الله-: لا يخاف العبد من الله حتى يستحي منه، وهل دخل أهل التقوى إلا من الحياء وقوله ﷺ: "من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس" أي رأسه، "وما وعى": أي ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة، وحتى لا يستعملها إلا فيما يحل، "وليحفظ البطن وما حوى" أي: وما جمعه الجوف باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف فلا يستعمل منها شيء فى معصية الله، فإن الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء. (انظر فيض القدير: ١/٤٨٨)

وأخرج الضياء في المختارة وعن أسامة بن شريك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:" ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت ". (الصحيحة: ١٠٥٥)

وأخرج ابن ماجه من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لأعلمن أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورًا، أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ". (الصحيحة:٥٠٥)

وأخرج البزار من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاث مهلكات وثلاث منجيات: فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الفقر والغنى، والعدل فى الغضب والرضا ".(الصحيحة:١٨٠٢)

وسئل النبي ﷺ عن الإحسان فى الحديث المسمى بأم السنة فقال ﷺ:" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ". (رواه البخاري)

وقال ابن رجب-رحمه الله- في كتابه "جامع العلوم والحكم ص ٣٤،٣٣": يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والهيبة والتعظيم، كما جاء فى رواية أبى هريره ﷺ:" أن تخشى الله كأنك تراه ".

وقوله ﷺ:" فإن لم تكن تراه فإنه يراك "، قيل: إنه تعليل للأول، فإن العبد إذا أمر بمراقبة الله- تعالى- فى العبادة واستحضار قربة من عبده حتى كأن العبد يراه فإنه قد يشق ذلك عليه، فيستعين على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنة وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره فإذا تحقق هذا المقام سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو دوام التحقق بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه، وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحي من نظره إليه كما قال وهب بن الورد- رحمه الله-: خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي من الله على قدر قربه منك. اهـ.

وصفوة الكلام أن يقال: مما يعين على التقوى التدرب على مراقبة الله ﷻ، وإحساس القلب بقربة واطلاعه، فيستحى العبد عند ذلك من المعصية ويبذل جهده فى أداء الطاعة على أحسن وجوهها، وهذه بعض الأثار فى تقرير هذا المعنى:

راود أعرابي جارية عن نفسها فقالت له: ويلك أما كان لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقال: إنه والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فأين مكوكبها؟

وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق إلى ما تنظر إليه.

وقال الحارث المحاسبي-رحمه الله-: المراقبة علم القلب بقرب الرب.

وكان الإمام أحمد ينشد:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

(حلية الأولياء:٩/٢٢٠)

وكان ابن السماك ينشد ويقول:

يا مـدمن الـذنب أمـا تستحي   والله فـي الخلـوة ثانيكـا

أغـرك مـن ربـك إمهالـه   وسـتره طـول مساويك

ثالثًا: ومما يعين على التقوى معرفة ما فى سبيل الحرام من المفاسد والألآم:

فليس فى الدنيا والآخرة شرٌ وداءٌ إلا وسببه الذنوب والمعاصي.

قال ابن القيم-رحمه الله-:

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعدًا، وبالرحمة لعنة، وبالجنة نارًا تلظى، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، فصار قودًا لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة؟ فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك. وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على سطح الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم فى أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم؟ فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعهم حجارة من سجيل، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمه غيرهم، ولإخوانهم أمثالها وماهي من الظالمين ببعيد، وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه فى البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، وما الذي أهلك القرون من بعد نوح ودمرها تدميرًا. اهـ باختصار. (الجواب الكافي ص ٤٢-٤٣)

ولا شك أن سبيل المعاصي فيه من التعرض للعذاب العاجل والآجل وضيق الصدر والرزق وبغض الخلق ومحق البركة فهي كطعام لذيذ مسموم يتمتع به لحظات وتبقى آلامه في الحياة وبعد الممات كما قال القائل:

تفنى اللـذاذة مـن نال لذتها   مـن الحـرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها   لا خير فى لذة من بعدها النار

(صفة الصفوة:٣/١٣٠)

وقال آخر:

أنت في دار شتات فتأهب لشتاتك

وأجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك

وأجعل الفطر عند الله في يوم وفاتك

رابعًا: ومما يعين على التقوى أن تتعلم كيف تغالب هواك وتطيع مولاك:

قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه " روضة المحبينً ص٤٠١":

"وملاك الأمر كله الرغبة فى الله وإرادة وجهه والتقرب إليه بأنواع الوسائل والشوق إلى الوصول إليه، وإلى لقائه، فإن لم يكن للعبد همة على ذلك فالرغبة فى الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همة عالية تطالبه بذلك، فخشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه، فإن لم تطاوعه نفسه لشيء من ذلك، فخشية النار وما أعد الله فيها عن عصاه ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله وتوفيقه إلا بمخالفة هواه. فالله سبحانه وتعالى جعل الجنة لمن خالف هواه واتبع مولاه قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات:٣٧ - ٤١)

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن: ٤٦) قيل: هو العبد يهوى المعصية فيذكر مقام ربه عليه فى الدنيا ومقامه بين يديه فى الآخرة فيتركها لله. وهذه هي التقوى: ترك ما تهوى لما تخشى.

وقد أخبر الله ﷻ أن اتباع الهوى يضل عن سبيله فقال الله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (ص: ٢٦) وقد حكم الله تعالى لتابع هواه بغير هدى من الله أنه أظلم الظالمين فقال الله تعالى:﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠) وجعل سبحانه وتعالى المتبع قسمين لا ثالث لهما: إما ما جاء به الرسول ﷺ وإما الهوى: فمن اتبع إحداهما لم يمكنه اتباع الآخر. أهـ

(روضة المحبين ص ٤٠١- ٤٠٤ بتصرف)

قال أحدهم:

لا خير فيمن لا يراقب ربه عند الهوى ويخافه إيمانا

حجب التقى سبل الهوى فأخو التقى يخشى إذا وافى المعاد هوانا

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكرمُ

فلا إلى فاحشٍ مددت يدي ولا مشت بي لريبة قدمٌ

خامسًا: ومما يعين على تقوى الله- عز وجل- معرفة مكائد الشيطان ومصائده، والحذر من وساوسه ودسائسه:

قال العلامة ابن مفلح المقدسي-رحمه الله-:

" اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين فى سبع عقبات، عقبة الكفر، فإن سلم منه ففي عقبة البدعة، ثم فى عقبة فعل الكبائر، ثم فى عقبة فعل الصغائر، فإن سلم منه ففي عقبة فعل المبيحات فيشغله بها عن الطاعات، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة، فإن سلم من ذلك وقف له فى العقبة السابعة، ولا يسلم منها المؤمن إذ لو سلم منها أحد لسلم منه رسول الله ﷺ وهي تسليط الأعداء الفجرة بأنواع الأذى. اهـ. (مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ص ٦٩)

فلا شك فى أن معرفة العقبات التي يقف عندها الشيطان، ومعرفة مداخله إلى قلب ابن آدم مما يعين على الحذر منه، وأولى من ذلك بالذكر أن تعرف أن الشيطان عدو لبنى آدم فلا يمكن أن يأمره بخير أو ينهاه عن شر.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر: ٦)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ (النور: ٢١)

واعلم أن أول ما يغوى به الشيطان ابن آدم الوساوس التي يوسوس بها إليه، كما قال تعالى آمرًا بالاستعاذة بالله ﷻ من وساوسه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ ﴾ (سورة الناس)

فإذا غفل القلب عن ذكر الله ﷻ جثم عليه الشيطان وأخذ يوسوس إليه بالذنوب والمعاصي، فإذا ذكر الله ﷻ واستعاذ به انخنس الشيطان وانقبض، وإذا كره ما وسوس به فإن ذلك محض الإيمان.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عن أبى هريرة ﷺ قال:" جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه: إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: "وقد وجدتموه "؟ قالوا: نعم. قال:" ذلك صريح الإيمان ".

قال النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم:١/١٥٤":

" معناه استعظامكم الكلام به وهو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلًا عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالًا محققًا وانتفت عنه الريبة والشكوك ". أهـ

قال ابن القيم–رحمه الله–في كتابه" تفسير المعوذتين":

" الوسوسة هي مبادئ الإرادة فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له فى خيال تميل نفسه إليه فتصير إرادة، ثم لا يزال يمثل ويخيل ويمنى ويشهى وينسى علمه بضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود فى الطلب فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم كما قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم: ٨٣) أي تزعجهم إلى المعاصي ازعاجًا كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزتهم وأثارتهم، فلا تزال بالعبد حتى تقوده إلى الذنب، فأصل كل معصيه وبلاء إنما هي الوسوسة. أهـ

فمهما كان العبد مشغولًا بالطاعات وذكر الله ﷻ، فإنه لا يكون عند ذلك محلًا للوساوس فإذا غفل عن الذكر والطاعة وسوس إليه الشيطان بالمعاصي كما قال ابن القيم– رحمه الله–: إذا غفل القلب ساعة عن ذكر الله جثم عليه الشيطان وأخذ يعده ويمنيه.

لكن كيف يحفظ العبد نفسه من وساوس الشياطين؟

١– الاستعادة بالله: قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠١)

فقد أخرج البخاري عن سليمان بن صرد ﷺ قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ:" إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد ".

قال ابن كثير–رحمه الله–: من لطائف الاستعادة أنها طهارة الفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب اللهو وهو بتلاوة القرآن وهي استعانة بالله ﷻ واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه ".

٢– قراءة المعوذات فقد قال ﷺ:" لم يتعوذ الناس بمثلهن ". (رواه النسائي)

٣- قراءة آية الكرسي عند النوم. كما جاء في حديث أبي هريره ﷺ "... فمن قرأها عند نومه لا يزال عليه من الله حافظ لا يقربه شيطان ".

٤- قراءة سورة البقرة: قال النبي ﷺ:"إن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان".(رواه مسلم)

وفي لفظ آخر عند مسلم:" إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ".

٥- خاتمة سورة البقرة: فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود الانصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ".

٦- " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" مائة مرة:

فمن قرأها في يوم كانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه ".

٧- كثرة ذكر الله ﷻ: فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله ﷻ.

فقد أخرج الترمذي من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:" إن الله تعالى أمر يحيي بن زكريا -عليهما السلام- بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن – وكان من جملة هذه الكلمات الخمس-وفي الحديث:"..... وآمركم أن تذكروا الله- تعالى- فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سِراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله ".

٨- الوضوء والصلاة: قال ابن القيم -رحمه الله-: وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل عليه.

٩- إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة. اهـ باختصار. (تفسير المعوذتين ص ٨٢-٨٦)

وأخيرًا كفى شرفًا وفخرًا للمتقين أن الله ﷻ يحبهم ويحبونه، وهو معهم بالحفظ والرعاية أينما كانوا، وليسوا في حاجة إلى جاه أو منصب أو مال، فذلك كله عرض زائل وعارية مسترده، فغايتهم رضا الله تعالى، ودخول الجنة. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:١٤)

فاتقوا الله أيها المسلمون: فمن اتقاه وقاه، ومن أقرضه جازاه، ومن شكره زاده.

وأخيرًا أذكر بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (المائدة:٩٦)

وأذكر أيضًا بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر:١٨)

وأختم بما ختم الله به قرآنه، حيث إن أخر آية نزلت من القرآن -على الراجح- قوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٨١)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله– تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك